المحاورات بين المصلح والمقلد

(المحاورة الاولى في حالة المسلمين العامة)

السلف والخلف في الاسلام . أي سيرتيهما نختار للاصلاح . الانسان المدني والانسان المنطقي . شقاء المسلمين في دنياهم . الدليل على ذلك . الثقة بكتب تقويم البلدان والجرائد . رواية الكافر . التواتر . قرب قيام الساعة وفساد الزمان . الريب فيما يروونه في اشراط الساعة . سبب مرض الامة ترك الشريعة . استحالة اصلاح المسلمين الا بالمهدى . متى تقوم الساعة . انكار المهدي . الاصلاح بأبطال المذاهب

نقص على القراء حديث محاورات بين شاب من مريدى الاصلاح الذاهبين إلى وجوب خروج الامة مما هي فيه من التقاليد الحادثة في الملة والرجوع بالدين إلى بساطته الاولى حيث كان يتناوله رعاء الشاء من كتب بالاقتصار على هدي الكتاب وصحيح السنة وسيرة السلف وحذف كل مازاده الخلف من الغلو في الدين وتكثير التكاليف وإبرازها بصور تعتاص على الاذهان ، وبين شيخ من المحافظين على التقاليد التي عليها الامة من قرون طويلة المعتقدين أن الاخذ بالكتاب والسنة مخصوص بالمجتهدين وانهم قد انقرضوا ويستحيل وجود غيرهم وإن كتب المتأخرين من أموات العلماء خير من كتب المتقدمين وأجمع ، وأفيد في التحصيل وأنفع ، ونكتفي بما يرد في المحاورات من بحث الاجتهاد والتقليد عن الكتابة فيه استقلالا فنقول :

اجتمع أحد الشيوخ المتفقهين ، وأكابر الوعاظ المدرسين ، بشاب من النابتة الجديدة الذين جمعوا بين العلوم العصرية والدينية كما جمعوا بين المال والجاه بجدهم وكدهم ولولا ذلك لم يتنازل الشيخ لمحاورته .

نظر الشيخ إلى الشاب فألقاه ضجراً متبرماً تلوح عليه مخايل الحزن

كانما أصابته مصيبة في نفسه أو أهله وماله فقال له (الشيخ) مابالك ؟(١) فانني أراك على غير ما أعهد وانني أعجب أن أرى مثلك يهتم لشيء من الاشياء فالحمد لله خير كثير وصحة جيدة والله قد وفقك للبر والتقوى والصدقات والمبرات والكريم لا يضام

(المصلح) : مهلا أيها الاستاذ فانني إنسان ومعنى « إنسان » خلق اجتماعي يشعر بانه عضو من أمة يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها وإنني أرى أمتي أشقى الامم وأتعسها فكيف أكون أنا سعيداً ناعم البال . في أمة هذا شأنها في الخذلان والنكال .

(المقلد) : ما هذا الذي أسمع منك؟ فانك قد أخطأت خطأ منطقيا وخطأ دينيا. أما الخطأ المنطقي فانك قد عرفت الانسان بغير تعريفه الذي أجمع عليه علماء المنطق وهو « حيوان ناطق » وأما الخطأ الديني فهو أنك اغتبت المسلمين جميعا وجعلت أمة النبي ﷺ شقية بل جعلتها أشقى الامم وخالفت الكلمة المجمع عليها بين المسلمين وهي « أمة محمد على خير »

(المصلح) : اننا لسنا بصدد تحديد ماهيات الانواع والاجناس فنذكر تعريف المنطقي للانسان وإنما نريد الكلام في موضوع اجتماعي فاذا لم يصح ما قلته في الانسان عند المنطقي فهو صحيح عند أهل علم الاجتماع وأما الغيبة فلا تظهر هنا لانني لم أحتقر انسانا بخصوصه . وأما كون الامة الاسلامية أشقى الامم في هذا العصر فلا يشك فيه إلا من لا يعرف من أحوال العالم شيئا ولا يعرف بلاد المسلمين ومن يحكمهم وما هم عليه من الجهل والفقر والذل وكيف يسامون سوء العذاب في جميع الاقطار وهم

(١) تتحامى في مراجعة القول ما اعتيد من ألقاب التعظيم كحضرتكم وفضيلتكم

وادعون ساكنون ، غارّون آمنون ؛ كأنهم عجماوات لا يعقلون ، أو جمادات لا يحسون ولا يشعرون ؛ فهل من العقل وصحة الفكر التي استفدناها من المنطق أن نكذب المحسوسات اليقينية ، لكلمات كاذبة سميناها اجماعية ؟

(المقلد) : أنت لم تشاهد أحوال جميع المسلمين فيصح حكمك عليهم ولم لا يجوز أن يكون في البلاد البعيدة عنا من له منهم دولة قوية وعز وسؤدد . هذا إذا سلمنا لك جدلا ان المسلمين في هذه البلاد أقل من غيرهم من أهل الملل الاخرى علما ومالا . وكيف نسلم بهذا واننا نرى المسلمين أغنى من القبط وأما العلم فليس عند غير المسلمين علم مطلقا

(المصلح) : ان علم تقويم البلدان والجرائد السيارة قد مثلت لنا مالم نشاهده من بلاد المسلمين وغيرها حتى كأننا نشاهده دائما لا يغيب عنا منه شيء ولكنني أراك غير محيط بعلم ما بين يديك من حال ثروة المسلمين هنا وعلمهم ولا أناقشك فيه الان فان غرضي أن تقتنع بان المسلمين في شقاء ليكون هذا أساسا وقاعدة للكلام بيني وبينك

(المقلد) : كيف اقتنع بكلام لا حجة لك عليه الا كتب تقويم البلدان وكلام الجرائد وكلاهما كذب لا يوثق به فان مصادره كلها كفرية والكافر لا تقبل روايته ؟

(المصلح) : ان الكافر لا تقبل روايته في موضوع كفره وما يتعلق باثباته وابطال ما يخالفه . وأما ما ليس له غرض في الكذب فيه وانما غرضه ومنفعته في الصدق به لأن فيه فائدته وفائدة قومه فان العقل يقضي بأنه يتحري الصدق فيه لئلا يغش نفسه وأمته ومن هذا النحو علم تقويم البلدان . وثم وجه آخر يجلي لنا تحريهم الصدق في مثل هذا الموضوع وهو أن كل

كاتب يعلم أن كتابته تنتشر بالطبع ويطلع عليها أهل العلم بموضوعها فيسلقونه بألسنة الانتقاد الحداد . وأقوى من هذين الوجهين أن معظم المسائل التي استند عليها في حكمي على المسلمين من المتواتر الذي يفيد اليقين فان معظم مسائل علم تقويم البلدان وأخبار الجرائد الشهيرة متفق عليه بين الشركات البرقية والمراسلات البريدية في جميع بلاد المدنية . ولا يخفى عليكم أن التواتر لا يشترط في رواته الدين وإنما آيته حصول العلم اليقيني به لمن بلغه كما في كتب الاصول

(المقلد) : يشترط في التواتر أن يؤمن تواطؤ الرواة على الكذب ولا يتحقق هذا الشرط إلا إذا لم يكن لأولئك الرواة غرض وهوى فيما يروونه فاذا تحقق هذا الشرط بالنسبة لمسائل علم تقويم البلدان على ما قلت فلا يتحقق في أخبار الجرائد البرقية ولا البريدية لان لرواتها ومذيعيها اهواء واغراضا سياسية

(المصلح) : أنا لا أقول إن كل ما يروونه حق وصدق ولا أبرئهم من الهوى والغرض مطلقا ولكن لا تتوهم أن اهواءهم تخفي الحقيقة وانما قصاراها أن تتصرف فيها بعض التصرف ، كالاعتذار والتلطف ، كما ترى في برقيات شركة روتر الانكليزية ، في هذه الحرب الترانسفالية ، فقد كانت تخبرنا بجميع انكسارات قومها الانكليز . وهذا هو الشأن في الاعتماد على رواة شركة واحدة فيما تتهم فيه فما بالك بما ترويه رواة شركات مختلفة الاهواء والاغراض وتتفق فيه مع رواة البرد الذين يراسلون الجرائد المختلفة المشارب والمذاهب ؟

(المقلد) إنني بصرف النظر عن صدق الجرائد وغيرها أسلم لك أن المسلمين في حال سيئة على الجملة فان هذا آخر الزمان وكل هذه الاحوال

من علامات قيام الساعة وهي كائنة لا بد منها وستزداد يوما بعد يوم حتى لا يبقى إلا لكع بن لكع وعليهم تقوم الساعة فلا ينبغي أن نهتم بهذا الامر ولا أن نحزن له لانه مصداق اخبار النبي ﷺ ويستحيل زواله

(المصلح) هذا بعض ما أريد مذاكرتك به فان عندي ريباً في كثير مما يروونه في الكتب من علامات الساعة وما سيكون قبلها أقوى من ريبك في أخبار الجرائد وعلم تقويم البلدان ولا يسعنا في هذا المجلس أن نبحث في متونها وأسانيدها ونبين ما يقبل منها وما لا يقبل ولكننا لا ننكر على أي حال ان لكل شيء وقعنا فيه سببا ، وان لكل مرض علاجا ، فان الهيئة الاجتماعية كالهيئة الشخصية تمرض بسبب ، وما دام فيها رمق من الحياة فلا يأس من شفائها ، فما رأيك أيها الاستاذ في أسباب مرض الامة الاسلامية العام وما رأيك في علاجه ؟

(المقلد) أما سببه فهو ترك الشريعة عملا وحكما وليس له علاج لان قيام الساعة قريب وهي لا تقوم إلا على شرار الخلق كما قلت لك ، الا أن الملوك والحكام الذين أفسدوا الدين والدنيا اذا حكموا بالشريعة وألزموا الناس العمل بها يندمل جرحهم وينشعب صدعهم ويصلح شأنهم وما هم بفاعلين حتى يظهر المهدي ، وقد بشرني بعض الصالحين بأنه يظهر في هذا القرن والساعة تقوم في أول القرن الخامس عشر واستدل على هذا بقوله تعالى (لا تأتيكم الا بغتة) فان حروف (بغتة) تبلغ بحساب الجمل ١٤٠٧ وبحديث « ان أساءت أمتي فلها يوم وان أحسنت فلها يوم ونصف » واليوم عند الله الف سنة وقد أحسنت ولله الحمد ولذلك جاوزت الالف وفي أواخر النصف تقوم الساعة

(المصلح) أما قولك ان ترك العمل بالدين والحكم بالشريعة هو سبب ضعف المسلمين فهو مسلّم عندي ولكن لي فيه فهما ربما كان غير ماتريد . وأما قولك ان رجوعهم الى الشريعة لا يكون الا بقوة المهدي المنتظر فأنا لا أستقد بصحة هذا بل أقول ان هذا الاعتقاد من أدواء المسلمين وأقتل أمراضهم وان كان فيما قالوه عنه كلمة اصلاح وهي ابطال المذاهب وجعل المسلمين على طريقة واحدة كما هو أصل الاسلام . وأغرب من هذا استدلالك على قيام الساعة بالآية فان هذه الطريقة من الاستدلال ليست معروفة في الاصول وكذلك الحديث لا أراه يصح . ثم انصرفا على أن يعودا للكلام ، بعد أيام . اهـ من مجلد المنار الثالث

﴿ المحاورة الثانية ﴾

(في الاعتماد على الدليل وطرق الاستدلال الصحيحة والفاسدة)

الاستدلال على قيام الساعة بالقرآن . طرق هذا الاستدلال وابطالها . عدم قبول قول بغير دليل . قطعية أدلة المسائل الاعتقادية . منعهم الاجتهاد إنما هو في الفروع دون الاصول . الوقوف عند اجماع السلف . ادعاء المقلدين الاجتهاد في العقيدة . الخلاف في إيمان المقلد . حديث إن للقرآن ظهراً وبطناً . حكاية سيدنا عيسى مع المؤدب . الاستدلال على قيام الساعة بحروف أوائل السور . الطعن في هذه الاستدلالات عدم الثقة بأكثر ما يروى عن ابن عباس في التفسير . حكاية أو ثنتان عن بعض الشيعة في الاستنباط من أوائل السور

عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى الكلام ، وفاء بما تعاهدا عليه من بضعة أيام ، وافتتح الشيخ المحاورة ، واستأنف المناظرة ، فقال

(المقلد) : لم أترك الجواب عن كلامك في مجلسنا الماضي لعجز ولا لكونه مقنعا وانما رأيت في بعضه إبهاما وغموضاً لا بد لي من استيضاحه

قبل الخوض فيه وهو قولك ان لك فهماً في كون ترك الشريعة هو العلة الاولى أو كما يقولون علة العلل لضعف المسلمين ربما كان غير ماأريد مع ان هذا أمر واضح لا يصح ان يكون محلا للاختلاف في الفهم . ورأيتك أنكرت المهدي ولم ينكره قبلك أحد من المسلمين الا من لا يعتد بانكاره كابن خلدون فقد كنت سمعت عن المرحوم علي باشا مبارك ان هذا الرجل انكر المهدي وطعن في أسانيد الاحاديث المروية فيه. وهو لم يكن عالما وانما كان مؤرخا . ثم إنك أنكرت قرب قيام الساعة مع انه صار من البديهيات التي يعرفها الصبيان والنسوان ولم ترض بدلالة الآية والحديث عليها كأنك تنكر ان في الكتاب والسنة أخبارا عن المغيبات . ولم ترض بهذا كله حتى قلت تلك الكلمة الكبيرة التي لو مزجت بماء البحر لمزجته وهي «ابطال المذاهب» وجعل المسلمين على طريقة واحدة ولم أفهم معنى هذه الطريقة التي تنافي المذاهب والمعروف ان أهل طرائق التصوف كلهم متبعون للمذاهب الاربعة بل الاقطاب الاربعة رضي الله عنهم كانوا كلهم شافعية الا أن الشيخ عبدالقادر رجع الى مذهب الحنبلية أخيراً لاجل إحيائه لانه كاد يندرس . وان اعترضت عليّ بقول القطب الشعراني ان هؤلاء الاقطاب قد اطلعوا بالكشف على عين الشريعة وصاروا مجتهدين فاعتراضك يكون حجة عليك لانهم باطلاعهم على عين الشريعة رأوا ان جميع أئمة المذاهب مصيبون وان اختلافهم رحمة ولذلك لم يتركوا المذاهب بعد هذا الاطلاع ولا أمروا الناس بتركها . فكل كلمة من كلماتك تحتاج الى شرح طويل ولذلك اخترت تأخير المناظرة لاراجع الكتب واستحضر النقول للرد عليك وارجاعك عن هذه الشبه المتمكنة منك

(المصلح) :اني اشترط في مناظرتنا هذه شرطا لا بد منه ولا يظهر الحق الا به وهو ان لا يقبل أحدنا للآخر مناقضة ولا معارضة إلا بسند قوي، وبرهان جلي .ولا ينهض برهان شرعي على مسئلة اعتقادية إلا إذا كان نصاً قطعياً لآية قرآنية أو حديث متواتر لان أخبار الآحاد ان صحت فهي ظنية الدلالة والظن في الاعتقاد ضلال . قال تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال (فماذا بعد الحق الا الضلال) واذا كانت الاحاديث الصحيحة غير المتواترة لا يحتج بها في المسائل الاعتقادية بالاتفاق (١) فما بالك بكلام العلماء ، وبشارات الصلحاء ، أليست أجدر بعدم القبول ؟

(المقلد): لقد قلت قولا اصوليا لا ينكر ولكن العمل به من وظيفة المجتهدين ويظهر لي انك تدعي الاجتهاد واني أخشى على دينك من هذه الدعوى فمن استبد برأيه زل والله تعالى يقول (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم) وهو تهديد عظيم

(المصلح) : الآية حجة عليك لانها مصرحة بان الوعيد انما ينتظر من جاءته البينات ولم ينظر فيها ويهتد بها فهي تتناول المقلد كما تتناول المعطل والجهول المهمل .ثم إن الذين منعوا الاجتهاد انما منعوه في الفروع وأما المقلد في اصول الدين فاهون ما قالوا في شأنه ان إيمانه مختلف فيه وبعضهم ينقل الاجماع على عدم صحة إيمانه. واذا كان بحث الاجتهاد والتقليد من أهم المسائل التي نتناظر فيها فالزامك اياي بالتقليد من غير دليل هروب من المناظرة وترك لها

---

(١) أي اتفاق علماء النظر وعدم قيام الحجة على الخصم لا ينافي أخذ المسلم بالصحيح منها فيما لا يعارضه نص قطعي

(المقلد) أنا لست مقلداً في عقيدتي ولا آمر أحداً بالتقليد فيها وانما أقول يجب على المجتهد أن يوافق بعض الأئمة في اجتهاده كالائمة الاربعة والامامين الاشعري والماتريدي وأتباعهم من العلماء والا كان كافراً أو مبتدعاً أو ضالا فاسقا

(المصلح) عجبا لمن يدعي انه غير مقلد ويشترط في الاجتهاد التقليد ولو قلتَ يجب أن لايخرج عما وقع الاجماع من السلف على انه من الدين لسلمت لك تسليما لان الاجتهاد المؤدي الى الخروج عما كان عليه الصدر الاول عامةً اجتهادٌ فيما وراء الاسلام وانما كلامنا في الاجتهاد في الدين الاسلامي . ووجود الخلاف بين الائمة المهتدين فى مسئلة دليل على انها غير مجمع فيها على شيء ومتى كانت كذلك يجب أن يأخذ الناظر فيها بما يقوم عليه الدليل عنده من غير ملاحظة موافقة أحد أو مخالفته ولا معنى لكونه متبعا للدليل الا هذا ، وان كثيراً من المشتغلين بالعلم الديني ليغشون أنفسهم بدعوى معرفة العقيدة بالدليل والبرهان ويحسبون انهم بقراءة ما كتبه السنوسي وأضرابه من الادلة على مسائل الاعتقاد قد سلموا من الخلاف فى ايمانهم أو مما حكاه السنوسي وغيره من الاجماع على كفر المقلد

(المقلد) انني احب قبل الخوض فى تحرير مسئلة الاجتهاد والتقليد أن أقف على رأيك فى الاستدلال على قيام الساعة بحساب الجمل ونحوه من الاشارات القرآنية ومن دلالة الحروف في أوائل السور فانني تنسمت من كلامك السابق انك من أهل الجمود على الظاهر المخالفين لأهل الكشف الذين يعتمدون على هذه الدلالات ، بل هم الذين استخرجوها من القرآن بصفاء باطنهم ونورانية قلوبهم . وانني أقبل شرطك اذا أنت سلمت لي بهذه الدلالات

(المصلح) ان شرطي يشمل هذه الدلالات أيضا فاذا نهضت لك حجة عليها فاني أخضع لها لا محالة

(المقلد) أما الاشارات القرآنية فقد ورد في الحديث « ان للقرآن ظهراً وبطنا وحداً ومطلعا » وأما دلالة الحروف فقد كانت معروفة عند الانبياء السابقين فاني رأيت في قصص الانبياء ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أخذته والدته لما كان له سبعة أشهر من العمر الى الكتّاب ليتعلم ولا يخفى عليك انه تكلم في المهد ،فقال له المؤدب :قل أبجد ، فقال عيسى للمعلم هل تدري ما ابجد ؟ فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني وان كنت لا تدري فاسألني حتى افسره لك ، قال فسره لي فقال عيسى عليه السلام : الالف آلاء الله ، والباء بهجة الله ، والجيم جمال الله ، والدال دين الله . هوز ـ الهاء هول جهنم ، والواو ويل لاهل النار ، والزاي زفير جهنم . حطي ـ حطت الخطايا عن المستغفرين . كلمن ـ كلمات الله لا مبدل لكلماته . قرشت ـ قرشهم فشرهم . فقال المؤدب : خذي ولدك أيتها المرأة فقد علم ولا حاجة له بالمؤدب . ولا شك ان هذا تعليم الهي يجب قبوله

وقد ورد في ديننا ما يؤيد هذا . روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير (الم) الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ، وقال في تفسير (الر) و(حم) و(ن) إن مجموعها اسم الله (الرحمن) وروي عنه ايضا انه قال في تفسير (الم) انا الله أعلم ، وهذا يدل على أن الحرف يجوز ان يكون مأخوذاً من اوساط الكلمات وأواخرها كما يجوز ان يكون مأخوذاً من اوائلها ، وروي عنه ايضا ان الالف من الله واللام من جبرائيل والميم

من محمد ، أي ان القرآن منزل من الله تعالى بلسان جبرائيل على محمد ﷺ . وأما حساب الجمل فـ...

(المصلح) مهلا حتى نفرغ من الاشارة ودلالة الحروف المفردة أما حديث « ان للقرآن ظهراً وبطناً » ويروى « ظاهراً وباطناً » فلا أنكر انه رواه من أصحاب السنن ابن حبان وقد كان متساهلا في الجرح ولذلك طعنوا في كثير من رجاله وان من الناس من يعتقد ان هذا الحديث من موضوعات الباطنية وما كل صحيح رواية يصح في الواقع ، على أن العلماء فسروا الظاهر باللفظ أو التلاوة والباطن بالتأويل او الفهم ، وبعضهم قال الظاهر الاخبار بهلاك الاولين والباطن وعظ الآخرين . وقال ابن النقيب ان الظاهر هو المتبادر للعلماء من معنى الالفاظ والباطن أسراره التي تظهر لاهل الحقائق يشير الى أثر علي كرم الله وجهه « الا أن يؤتي الله رجلا فهما في القرآن » ولا دليل على ان ذلك يكون بغير الطرق المضبوطة في الدلالة . وقالوا إن الحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد أو الحد منتهى ما أراد الله من معناد والمطلع ما يتوصل به إلى معرفته ولم يقل أحد ان الحديث يدل على ماذكرت . وأما حديث سيدنا عيسى مع المؤدب فلا يصح وأما ما روي عن ابن عباس في التفسير فأكثره موضوع لا يصح لانه مروي من طرق الكذابين الوضاعين كالكلبي والسدي ، مقاتل بن سليمان ، ذكر ذلك الحافظ السيوطي وسبقه اليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، بل ان رواية هؤلاء وأضرابهم التفسير عنه وعن غيره هي المقصودة من قول الامام أحمد رحمه الله تعالى « ثلاثة كتب ليس لها أصل : المغازي والملاحم والتفسير » قالوا انه أراد كتبا مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة

ناقليها ولزيادة القصاص فيها وذكروا منها تفسير هؤلاء بل نقلوا عن الامام انه قال في تفسير الكلبي «من أوله الى آخره كذب لا يحل النظر فيه» . وقالوا ان كل من ينقل في تفسيره الاحاديث الموضوعة لا يوثق بتفسيره بالمأثور ومن هؤلاء الثعلبي والواحدي والزمخشري والبيضاوي

وقد نص المحدثون في كتب الموضوعات على انه لم يثبت في تفسير القرآن بالحروف نقل ومثلوا له بما وضعه المبتدعة بعد وقوع الفتن في الملة كقولهم في تفسير (حم عسق) ان الحاء حرب علي ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة المهدي وقولهم ان العين عذاب الله والسين السنة والجماعة والقاف قوم يقذفون آخر الزمان .وقالوا ان هذا كله موضوع باطل

نكتفي بهذا في إبطالها من حيث الرواية وأما من حيث الدراية فكيف تصح دلالة الاقتطاع والاختزال وليس لها حد ولا رسم تعرف به اذ يمكن ان تجعل كل حرف مأخوذاً من أية كلمة فيها ذلك الحرف اذ لا ضابط للاخذ من وضع أو عقل أو طبع وحينئذ يصح ان يستدل بهذه الحروف على الكفر كما يستدل بها على الايمان ، وأن يشار بها تارة الى الفلاح وطورا الى الخسران ، وأنت ترى ان هذا من الهذيان، الذي يجب ان ينزه عنه القرآن ،

(المقلد) . أحسنت وأصبت في هذه وثم طريقة أخرى للاخذ من حروف أوائل السور وهي ان تجمع هذه الحروف ويركب من مجموعها كلام أو مما يبقى بعد حذف المكرر ومن الناس من استنبط أمورا غيبية من مهملها أو معجمها ولا أطيل عليك في هذا فانك من سعة الاطلاع

فوق ما كنت أظن فما قولك في هذا ؟

(المصلح) هذه الطريقة كسابقتها في الفساد واذكر فيها واقعة لطيفة حدثت في بلاد الشام وهي ان بعض غلاة الروافض استنبط من هذه الحروف بعد حذف المكرر هذه الجملة (صراط علي حق نمسكه) واستدل بها على ان عليا كرم الله وجهه كان أحق بالرسالة من محمد عليه الصلاة والسلام.. وقد نميت هذه الجملة الى أحد أمراء العسكرية فضاق بها ذرعا وحاول تحويلها الى مايوافق مذهب السنة فلم يجد الى ذلك سبيلا حتى هداه أحد الوجهاء الى بعض العلماء الاذكياء (١) فكتب اليه ذلك العالم الفاضل مانصه :

« بلغني ان بعض الرافضة عبث بأوائل الكتاب المجيد ، فغير مألوفه ، ونكر معروفه ، وقدم وأخر ، فقتل كيف قدر ، ثم استنبط منها « صراط على حق نمسكه » مستدلا بذلك على رأيه الفاسد ، ومعتقده الكاسد ، أن علياً هو الاحق بالرسالة . فنقول حيث ارتضيت أوائل السور بيننا حكما واستخرجت منها في زعمك حكما ، فلتنصرن أوائل السور الاخيار منا على الاشرار ، ولتميزن بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، هذه أوائل السور تقول بلسان حالها في خطاب القرآن ، ومافيه من البلاغة والتبيان : « يحق لسامعك نصر طه * ناصر طه مسك على حق * ماسعي لحق كنصر طه * لطه كم سعى نصار حق » .

« ١ » يريد بأحد الوجهاء المرحوم أحمد باشا الصلح وكان يومئذ ترجمان الوالي وبالعالم المجيب المرحوم الاستاذ الشيخ عبد الغني الرافعي الشهير وكان عائداً من المجاورة في دمشق إلى بلده طرابلس الشام

ولم يرض من مثل هذه الجمل إلا بعشر وجعل الجملة الاخيرة مطلعاً لأبيات نظمها في المسئلة مطالعها :

لطه كم سعى نصار حق فها أنا ذاك من نصار طه

وهذا الاستنباط للشيعة قديم وإنما يستدل به المعتدلون منهم على أحقية علي بالخلافة لا بالنبوة . قال العلامة الالوسي في تفسير (الم) :

« ومن الظرائف ان بعض الشيعة استأنس بهذه الحروف لخلافة الامير علي كرم الله تعالى وجهه فانه إذا حذف منها المكرر يبقى مايمكن أن يستخرج منه (صراط علي حق نمسكه) ولك أيها السني أن تستأنس بها لما أنت عليه فانه بعد الحذف يبقى مايمكن أن يخرج منه مايكون خطابا للشيعي وتذكيراً له بما ورد في حق الاصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين وهو «طرق سمعك النصيحة » وهذا مثل ماذكروه حرفا بحرف . وان شئت قلت : صح طريقك مع السنة . ولعله أولى وألطف » اهـ

(المقلد) أحسنت في هذه أيضا ولا أراك تقوى على إبطال حساب الجمل لانه استعمال قديم . روي عن أبي العالية رضي الله عنه أنه كان يرى ان أوائل السور تدل على مدد أقوام وآجالهم مستدلا بحديث اليهود وهو أن النبي ﷺ قرأ على اليهود لما جاءوه (الم البقرة) فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته إحدى وسبعون سنة ؟ فتبسم رسول الله ﷺ فقالوا : فهل غيره؟ فقال « المص والرالمر » فقالوا خلطت علينا فلا ندري بأيها ناخذ . ووجه الدلالة انه أقرهم على استنباطهم بعدم الاعتراض وبتلاوته لالمص وما بعدها على هذا الترتيب

﴿ المحاورة الثالثة ﴾

(في حساب الجمل ودلالته على عمر الدنيا)

تأثير الاعتقاد بقرب الساعة. أخذ العرب حساب الجمل عن غيرهم . الطريق المضبوط في استعماله. تاريخ الائمة الاربعة ،إنكار ذلك في القرآن ،مناظرة سني وشيعي البحث في حديث اليهود السابق وعدم صحته، انكار المتكلمين ذلك الحساب في أوائل السور، السريانية ولغة الملائكة ، الاتفاق في صحة ذلك الحساب، كشف الاولياء في الساعة ومقدماتها، جغرافية الآخرة وخرائطها، الاحاديث في الساعة وشرائطها، عمر الدنيا، الاحاديث الموضوعة والمنكرة في ذلك وغرض واضعها، تحرير المقال في ذلك

عاد الشيخ الواعظ والشاب المصلح إلى المحاورة متفقين على أن لا يقبل أحد منهما قولا الآخر إلا بدليل صحيح واستأنفا الكلام في مسألة قرب قيام الساعة وطرق الاستدلال عليها لان هذه المسئلة قد أضرت بالمسلمين وكانت مكسلة لهم عن العمل وموطنة نفوسهم على الرضى بالضيم والذل لما يلغط به الوعاظ الجهلاء في كل عصر من قرب قيامها ومن انه لابد أن يتقدمه ضعف الدين وتلاشي المسلمين وابتدأ الشاب الكلام فقال

• (المصلح) لا أنكر ان هذا الشيء الذي يسمونه الجمل قديم وانه انتقل إلى العرب من السريانيين والعبرانيين ولكن دلالته ليست عقلية ولا طبيعية وانما تكون بالمواضعة والاصطلاح ولم يتفق للعرب ولا لغيرهم اصطلاح يصح أن تؤخذ أية كلمة وتحسب ويحكم بعددها على أنه تحديد لزمن أمة من الامم في وجودها واستقلالها بل لا يوجد في اللغة رموز حسابية أو غير حسابية تدل على الحوادث المستقبلة .وقصارى مايمكن أن يستفاد من هذا الحساب بطريقة وضعية اصطلاحية يفهمها كل من يعرف

الاصطلاح الوضعي فيها هو نحو ماجرى عليه الناس من التأريخ بها بأن تذكر كلمة أو كلام يعين بوقوعه بعد لفظ مخصوص كالالفاظ المركبة من مادة (ارخ) ويجعل مايحصل من حروفها بالجمل بيان سنة حدث فيها شيء يراد توقيته ومعرفته ولا بدمن ذكر ذلك الشيء بعبارة يفهم منها كل من تلقى اليه مايراد منها . ومن هذا النحو قول بعضهم في بيان تاريخ مولد الائمه الاربعه المجتهدين ووفاتهم ومدة حياتهم وهو

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ومالك في قطع جوف ضبطا

٨٠ ١٥٠ ٧٠ ٨٩ ١٧٩ ٩٠

والشافعي صين ببر ند وأحمد بسبق أمر جعد

١٥٠ ٢٠٤ ٥٤ ٧٧ ٢٤١ ٦١٤

نخذ على ترتيب نظم الشعر ميلادهم فموتهم فالعمر

فلولا البيت الاخير الذي أرشد الى المراد لما اتضح لقارئه وسامعه وحينئذ لا تكون دلالته صحيحة ولا يصح أن يقصد العاقل ماليس بصحيح لانه لغو فكيف يصح ان يكون مثل هذا اللغو مضافا الى كتاب الله تعالى وهو نقص ومناف للبيان الذي وصف الله به القرآن بمثل قوله تعالى (طسم . تلك آيات الكتاب المبين) وقوله عز وجل (حم ، والكتاب المبين) فلو كانت هذه الحروف رموزاً ومعميات لما وُصلت بهذا الوصف الشريف الذى هو من أخص أوصاف القرآن، وقد أنكر علماء الكلام ان يكون في القرآن كلام غير مفهوم للناس واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل فلا يصح للمقلد أن يترك كلامهم وهم حماة العقائد وأنصار الدين لكلام القاصين والدجالين . وأذكر لك لطيفة جرت مع بعض الادباء في دلالة

الكلمات بالتحكم في حساب الجمل وهو ان شيعيا اسمه (حمد) ناظر أحد أدباء بغداد فاحتج عليه بحساب الجمل وموافقة بعض كلمات القرآن لما أراد على نحو ما ذكرت لي في الاستدلال على قيام الساعة سنة ١٤٠٧ للهجرة بقوله تعالى «لا تأتيكم الا بغتة» فقال له ذلك الاديب: هل تقبل مثل هذا الاستدلال؟ قال نعم قال. إذن انت كلب لان حروف حمد ٥٢ في هذا الحساب وحروف كلب كذلك: فقال حمد: ان اسمي الصحيح احمد: قال الاديب. اذن أنت أكلب: فخجل وانقطع عن المناظرة

واما ما روي عن اليهود وذكرته في مجلسنا الماضي فلا يصح وقد اخذه المفسرون الذين لا يتحرون في النقل من كتب السير والمغازي وأكثر ما في تلك الكتب لا يعتمد عليه كما علمت (١) وقد رأيت في شرح الاحياء ما نصه: «وقال السهيلي لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للاشارة الى مدة بقاء هذه الامة. قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس النهي عن (اباجاد) والاشارة الى ان ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له في الشريعة اهـ ولو سلمنا صحته رواية اكان لنا ان نبحث فيه من حيث الدراية بمثل ما ذكرناه مختصرا واطال فيه بعض المتكلمين والمفسرين كالامام الرازي على انه لا يدل على ما ذكرت اذ يجوز ان يكون ما اجاب به صلى الله عليه وسلم يأساً وحياً ابني أخطب مراداً به ابطال دلالتهما ودحض شبهتهما

١) أي ما تقدم عن الامام أحمد. وقد حررت مسألة ما ورد في عمر الدنيا رواية ودراية في تفسير (١٨٧: يسألونك عن الساعة) الآية من سورة الاعراف فيراجع في ص ٤٧٠ ـ ٤٨٢ من جزء التفسير التاسع

لعلمه بأنهما يقصدان التلبيس والايهام فاضطرهما الى التصريح بالتلبيس حيث قال حي «قد لبس علينا أمرك يامحمد»

(المقلد) ان في بعض كلامك حجة عليك وهو قولك ان (ابا جاد) الذي هو أصل حساب الجمل مأخوذ من اللغة السريانية وهي لغة الملائكة فاي مانع يمنع ان يكون في القرآن شيء من لغة الملائكة يدل على الامور الغيبية ويكون فهمه مخصوصا بالخواص الذين يعرفون كلام الملائكة كالانبياء والاولياء فقد روي عن سيدي القطب الغوث الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره العزيز: ان أهل الديوان الباطني لا يتكلمون الا بالسريانية لاختصارها فان الحرف الواحد منها يدل على معاني كثيرة لاسيما حروف أوائل السور ولعلك اطلعت على هذا في كتاب (الذهب الابريز)

(المصلح): انني لم أعن بقولي «السريانيين» الملائكة وانما أعني جيلا من الناس أمرهم معروف في التاريخ كانوا يسمون يوم السبت أبجد ويوم الاحد هوز والاثنين حطي والثلاثاء كلمن والاربعاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة. وقد وضع السريان هذه الكلمات مشتملة على حروف الهجاء عندهم وأخذها العرب عنهم وأضافوا اليها كلمتين مؤلفتين من باقي حروف الهجاء العربية التي لا توجد في اللغة السريانية وهما ثخذ وضظغ وسموها الروادف اي اللواحق ووافقوا السريان أيضا في ضبط مراتب الحساب بها وزادوا عليهم بما في لغتهم من الحروف الزائدة بجعل كل حرف يزيد على ماقبله ١٠٠ فالثاء ٥٠٠ والخاء ٦٠٠ الخ وساعدهم الجد أن وافق الحرف الاخير (غ) آخر مراتب العدد عندهم وهو الالف. وزعم بعض المؤرخين ان العرب كانوا يسمون أيام الاسبوع بما ذكرناه عن السريان أيضا

اما الملائكة فاعتقادي فيهم أنهم عالم روحاني غيبي وان قياسهم على عالم المادة الذي يتفاهم عقلاؤه بأصوات تكيفها الحروف قياس غير صحيح او كما يقول الاصوليون قياس مع الفارق وان كل ما غاب علمه عن الناس ولم ينله كسبهم لا يقبل فيه الا قول عالم الغيب وهو الله تعالى، وليس عندى نص قطعي في تفاهم الملائكة وتخاطبهم. وأما ما ذكرت عن أهل الديوان الباطني فلا أخوض فيه الآن بل أدعه للبحث التفصيلي في أمراض الامة الاسلامية ان دخلت معي فيه واكتفي الآن بأن أقول ان ماذكرت عنهم لا تقوم عليه حجة مرضية ولا بينه شرعية فان خالفتني طالبتك بالنص

(المقلد) : إنني أعلم منك تعظيم شأن الوقائع الوجودية وكثيرا ما سمعتك تقول : إن الذي لا ينطبق على مافي الوجود ولا يمثل حقيقة الواقع فهو خيال ووسواس من وساوس النفوس واوهامها يجب طرحه واهماله وتسميته جهلا، وان سماه المبتلون به علما، الا ما أخبر به المعصوم من علم الغيب فيسلم من غير بحث فيه ولا قياس عليه بشرط واحد وهو أن يكون غير معارض بقطعي من الشرع أو الحس والعقل : وانني أحتج عليك بهذا فقد كان لي تلميذ في الازهر دخل مدرسة دار العلوم وتعلم فيما يتعلمون فيها التاريخ ووالع به حتى كنت أنهاه عن الاغتال فيه اذا اتفق لي الاجتماع به لقول بعضهم ان مطالعة كتبه تؤدي الى التشيع وبغض سيدنا معاوية رضي الله عنه. ولما رأيتك تحتج بالتاريخ وتعتبره حتى كأنه فقه جئته في هذه الايام وسألته .هل يوجد في التاريخ ان احداً استدل على بعض الامور بحساب الجمل وأصاب؟ فقال نعم استخرج بعضهم من قوله تعالى: « الم . غلبت الروم» أن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ٥٨٣ فكان كما قال . ومنذ سمعت هذه الواقعة خطر لي ان

أحتج عليك بها ولكنني كنت أتوقع منك الرد علي بأن كلام المؤرخين لا يحتج به على رأيي أنا حتى ذكرت ذلك لبعض علماء الحنفية فقال: إن هذه الرواية مذكورة في البحر وعبارته هكذا - وأخرج الشيخ من جيبه ورقة وقرأ فيها ما نصه « كان شيخنا الاستاذ أبو جعفر ابن الزبير يحكي عن ابي الحكم ابن برجان أنه استخرج من قوله تعالى «الم غلبت الروم » الى «سنين» افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى ،وأن ابن برجان مات قبل الوقت الذي عينه للفتح وانه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم» فتعين الاعتماد على هذا والاخذ به

(المصلح) : أراك نسيت أننا اتفقنا على أن لا يقبل احدنا من الآخر دعوى بدون دليل وليس من الدليل في شيء ذكر الدعوى في احدى الكتب وتسليم أحد العلماء .وما استخرجه أبو الحكم يجري عليه حكم قولنا من قبل إنه لا يعرف له وجه مضبوط في الدلالة فلا تلجئني الى التكرار. نعم ان العلم الصحيح هو ما أثبته الوجود وان التاريخ هو الذي يحكي عن علم الانسان ولكن التاريخ انما يثبت لنا الوقائع الجزئية ونحن نحكم عليها بما يعطينا العقل من القواعد العامة فاذا صحت رواية أبي الحكم فصحتها لا تثبت لنا قاعدة عامة وهي على ما هي عليه من الابهام والغموض بل هي الى الاتفاق الذى يسمونه (الصدفة) أقرب

(المقلد) : وماذا تقول فيما ثبت في الكشف عن الاولياء ؟

(المصلح) : أقول بقول العلماء الاصوليين وهو أنه حجة على من قام عنده لا يصح الاحتجاج به على غيره .ثم إننا اذا نظرنا فيما نقل عن أهل

الكشف من الاخبار عن الملاحم وما يجري في العالم من الحدثان نرى أقوالهم متضاربة متعارضة وقد ظهر كذب أكثرها

(المقلد) : اذا سلمنا لك هذا فيحتمل ان يكون ماظهر كذبه لم يصح عنهم او انه مما نقل عن الذين اشتهروا بالصلاح والولاية ولم يصلوا الى مقام الكشف الكامل امامثل الامام الشعراني الذى اطلع على الموقف والجنة والنار ومثل شيخه الخواص والشيخ الاكبر محي الدين بن عربي فلا اظن انهم اخبروا بشيء الاوظهر كما قالوا ان كان قدجاء وقته والا فسوف يظهر

(المصلح) : نحن لم نطلع على الآخرة فنطبق عليها ماذكره الشعراني من جغرافية الموقف ومافيه ومارسمه من الخرائط للصراط والميزان والجنة والنار مما لانعرف له دليلا من كتاب ولا سنة ولا عقل ولا حكمة . ومن العجيب ان أكثر شيوخكم يرغبون عن جغرافية الدنيا المشهورة النافعة وينكرونها ويرغبون في جغرافية الآخرة المغيبة ويسلمون دعواها تسليما

واما ماجاء في كتبه من الاخبار عن الفتن والملاحم وما يكون قبل الساعة فكله او كله منقول عن كتب الشيخ محي الدين بن عربي وقد صرح هذا بان المهدي كان موجوداً في زمنه وذكر وقائعه معه . وفي كلامه عنه اشارات ورموز ومما اشتهر منها قوله انه يظهر بعد مضى ج ف خ وهي بحساب الجمل ٦٨٣ أي ان ظهوره يكون قبل انتهاء القرن السابع ونحن الآن في القرن الرابع عشر . وإذا لم تقتنع بهذا الشاهد فانني اعززه بكثير من الامثال .

(المقلد) : انني اغض النظر عن كل هذا الا الاحاديث المروية في الكتب المعتبرة فانها وان لم تكن متواترة بحيث يجب اعتقادها على كل مسلم

ويكفر منكرها فان من يصح عنده الحديث ويطمئن قلبه له يكون بالنسبة اليه كالمتواتر ولا يسعه الا اعتقاد مضمونه ولما رأيتك مطلعا على كتب الحديث ولا تقبل منها الا ما تصح روايته اضطررت الى المراجعة عن حديث تأخير الأمة الى يوم ونصف من أيام الآخرة فوجدت ان أبا داود روى عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « انى لارجو ان لا تعجز أمتي عند ربها ان يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف اليوم ؟ قال خمس مئة سنة . واما حديث : ان أساءت أمتي فلها يوم ، وان أحسنت فلها يوم ونصف ، فلما أقف على تخريجه الا انني أتذكر انني تلقيته عن بعض العلماء الصالحين وارجو ان أجد له سندا صحيحا .

(المصلح) إن أبا داود يروي أحيانا للضعفاء وقد طعن في كثير من رجاله وإذا سلمت لك صحة هذا الحديث من حيث السند(١) فما قولك بمخالفته للواقع وقد قالوا إنها من آيات الوضع لان الكلام الذي لا يطابق الواقع هو الكذب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم عن الكذب ؟ فان قلت إنما يكون مخالفاً للواقع إذا لم يمكن التأويل وهو ممكن لان العدد لا مفهوم له كما تقرر في الاصول : أقول ان هذا التأويل يبطل استدلالك بالحديث كيفما روي .

(المقلد) جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى غروب الشمس » فاذا كانت مدة الدنيا من عهد آدم إلى عهد نبينا عليهما الصلاة والسلام

(١) الحديث قال الحافظ ابن حجر في الفتح رواته موثقون الا أن فيها انقطاعا اه أي فلا يحتج به وقد استوفينا هذا البحث في ج التفسير التاسع

٥٥٠٠ كما هو منصوص في بعض كتب التفسير وفي قصص الانبياء فثلثها يكون قريبا من الف وتسع مائة وما بين العصر والمغرب ينقص عن الثلث لاسيما اذا اعتبرنا ان أول النهار الصبح كما هو مقتضى الشرع في الصوم وغيره من الاحكام الكثيرة فاذا قلنا إن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة كما وود في الكتب المذكورة آنفاً يقتضي ان يضاف الى خمسة آلاف وخمس مئة سنة ألف وخمس مئة أخرى وهي مقدار ما بين العصر والمغرب تقريبا فيكون المجموع سبعة آلاف سنة فيوافق بعض النصوص بعضا وربما كان ما قلنا انه تقريبي تحديدياً عند الله تعالى ويقويه موافقة النصوص فيه . ويصح ان يكون هذا مؤيداً لاستنباط ذلك العالم الصالح الذى لا يبعد عندي ان يكون من أهل الكشف ويكون المراد من اتيان الساعة بغتة أى سنة ١٤٠٧ اتيان مقدماتها واشراطها الكبرى كالمهدي وانتشار الضلال ويصح قولي الاول

(المصلح) : اعلم أيها الاستاذ — ولا تؤاخذني بقول اعلم — ان من أهل الملل ـ ولا سيما اليهود والفرس ـ من دخل في الاسلام في العصر الاول من غير بينة ولا اعتقاد وتظاهروا بالتمسك به لاجل ان يوثق بهم وتقبل رواياتهم فيما قصدوه من افساد عقائده وادخال الدخائل التي تثير الفتن وتفسد الاخلاق في تعاليمه وقد اعتنى بعضهم باقناع المسلمين بان دينهم قصير الامد ومدة بقائهم في الدنيا قليلة ليوقعوا هـذه الامة في هاوية اليأس ويثبطوا همم افرادها عن السعي في الفتوح ومد ظل السيادة والسلطة على رؤس الامم ، أو يشككوهم في دينهم ، فابتدعوا طريقا جديدة في الاستدلال بالكتاب والسنة وهي ما بينا ابطاله ووضعوا أحاديث كثيرة

في ذلك يناقض بعضها بعضا اهتدى المحدثون المحققون رضي الله عنهم الى وضع بعضها ودخل عليهم الغش في بعض آخر تتظاهر رواته بالصلاح فمما صرحوا بوضعه او ضعفه حديث : عند رأس المائة سنة يبعث الله ريحا باردة طيبة تقبض روح كل مؤمن :قال بعضهم انه باطل قد كذبه الوجود وقال ابن عدي :فيه بعض الضعف ولكن الحاكم أخرجه في المستدرك وصححه :وفي معناه حديث مسلم عن أبي سعيد مرفوعاً :لا يأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم : ورواية أخرى له عن جابر مؤكدة بالقسم. وهذا أقرب إلى التأويل فقد قالوا ان المراد به انقضاء الجيل

ومما قطعوا ببطلانه حديث:لا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة. قال الامام أحمد .ليس بصحيح كيف وكثير من الائمة ولد بعد ذلك . وحديث : زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة قالوا هو موضوع. وحديث: ان دين النبي ﷺ لا يبقى بعد وفاته الى القيامة الف سنة. قال الامام النووي باطل لا أصل له

وأنا لا اعتقد بصحة حديث فيه تحديد قيام الساعة لان القرآن مصرح بأنها مما استاثر الله بعلمه(يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلو كان المراد بلفظ (بغتة) تحديد وقتها لما كان للحصر قبله وبعده معنى والآيات في هذا المعنى كثيرة

واما حديث الصحيحين فهو يدل على ان ما بقي من عمر الدنيا يعد بالالوف او بالملايين لان ما ذكرت من تحديد عمر الدنيا بسبعة آلاف.

سنة هو الاسرائيليات التي لا ثقة بها وانما يوثق بما ثبت بالبحث العلمي في طبقات الارض وآثار الانسان فيها وهو مقدر بالملايين من السنين لا بالالوف ولا ينافيه حديث «بعثت انا والساعة كهاتين» واشار بالسبابة والوسطى لان المراد به التقريب النسبي

(المقلد) وماذا تقول في حديث مسلم «لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق» مع ملاحظة فساد أخلاق المسلمين واعراضهم عن العمل بدينهم

(المصلح) لم تذكر هذا وتنسى ما رواه مسلم أيضا من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «لاتقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهاراً» وفي حديث آخر له عنده «لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصري» وبصرى بالضم مدينة معروفة بالشام يسمونها الآن بصرى الحرير ـ وفي حديث آخر له قال (ص) فيما سيكون في عمران المدينة «تبلغ المساكن اهاب أو يهاب» واهاب بقعة خارج المدينة المنورة قال أحد رواة الحديث انها تبعد عن المدينة كذا وكذا ميلا، يعني أن العمران يتسع فيبلغها. فأين استعداد جزيرة العرب لهذا اليوم واذا أخذت به فمتى يتم؟ ثم انصرفا على موعد سنشرح ما يكون فيه ان شاء الله تعالى

«المحاورة الرابعة»

أسرار الحروف والزايرجة والجفر . اقرأ تفرح جرب تحزن .هل أسرار الحروف محصورة في المسلمين وحروفهم . دفع الله الناس بعضهم ببعض . اختلاف الخطوط العربية وفي أيها السر . مبتدع هذه الامور طائفة الباطنية. رسالة كشف الحقائق في اصول عقائد الدروز المبنية على اشكال الحروف واعدادها غرائب وعجائب في ذلك . الباطنية والصوفية . تجربة منفعة الحروف . اسباب النفع. الولع بالغرائب. الوهم وتأثير النفس. فائدة التاريخ

رجع الشيخ والشاب الى الحوار ، ومبادلة الافكار ، وأراد الشاب أن يتكلما في مسئلة مرض المسلمين الاجتماعي وعلاجه ويشرح للشيخ رأيه في الاجتهاد والتقليد وكون الاسلام طريقة واحدة لا ينبغي الاختلاف والتفرق فيه على ماتقدم له الالماع اليه .فلما علم الشيخ منه ذلك استأناه قائلا

(المقلد) : فاتني أن أذكر لك في محاوراتنا السابقة اسرار الحروف وفعلها في شفاء المرضى وقضاء الحاجات وهي مبنية على التجربة الصحيحة الواقعية فلا يسعك انكارها لأنك تقول دائما إن العلم الصحيح هو مايشهد له الوجود وتؤيده التجربة الصحيحة. وكذلك الجفر والزايرجة أخبر العارفون بهما في امور فكانت كما قالوا ولقد سكت عنهما من قبل لانني لم أكن اعلم ان لهما طرقا علمية مضبوطة فخشيت أن تقول فيهما ما قلت في حساب الجمل وبعد المفارقة رجعت الى شيخين جليلين عالمين بالزايرجة وأسرار الحروف والاوفاق وقد استغنيا من هذه المعرفة أحدهما مغربي والآخر مصري وسألتهما عن ذلك فأخبراني أن لهذه العلوم أصولا صحيحة مضبوطة لاستخراج المجهولات ومعرفة المغيبات لا كحساب الجمل الذي ليس له

قاعدة مضبوطة الا المعروفة بالتأريخ به كما ذكرت

(المصلح) : إن كثيراً من الناس قد اغتروا بمثل هذا الكلام وصدقوا بأن ما يقال بالالسنة والكتب من أن هذه الاوفاق والحروف مجربة صحيح جربوا بأنفسهم ما كتبه الديربي وغيره فكانت نتيجة تكرار التجربة أن وضعوا لها هذه القاعدة التي سارت مثلا وهي «اقرأ تفرح جرب تحزن» وأنا أعتبر التجربة مؤيدة للعلم اذا كانت مطردة لا تتخلف الا لسبب معلوم ولو في الجملة ولا بد أن يكون العلم بها متيسراً لكل أحد وانما نراها هنا على قدم العهد بها محصورة في نفر قليل من الدجالين الذين يحتالون على أكل أموال الناس بالباطل . ولو كان لها طريق علمي صحيح لارتقت بارتقاء العلم وتقدمت بتقدمه ولكننا نراها تتدلى كلما ارتقى العلم الصحيح وتتأخر حيث تتقدم المعارف الحقيقية حتى تلاشت من أكثر بلاد أوروبا وأمير كالشمالية وهي من فروع علم السحر والطلسمات

(المقلد): مه فان هذه العلوم والاسرار محصورة في الحروف العربية ومخصوصة بالمسلمين ولذلك لا تصح الا على أيدي الصالحين فاذا لم توجد في أوربا وانكرها أهلها فلا يصح لمثلك انكارها . وأما الذين جربوها فلم تصح معهم فسببه أنهم لم يقوموا بشرطها وهو إما الرياضة المخصوصة التي يعرفها أهلها واما الاذن من شيخ أعطاه الله تعالى هذا السر وهذا الكلام ينطبق على شرطك في وجوب اطراد التجربة وعدم تخلفها الا بسبب وهذا هو السبب. وهل يسعك إنكار التواتر في صحة هذه التجارب في جميع البلاد الاسلامية ؟ لا أتذكر أن هذا الامر ذكر في مجلس إلا وسمعت الشهادات من الكثرين بوقوع شيء منه لهم إما شفاء مرض واما قضاء

حاجة وإما دفع عاهة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)

(المصلح) : أرى انه لم يبق لكم من الاجتهاد الا وضع آيات القرآن في غير مواضعها فان قوله تعالى « ولولا دفع الله » الآية نزلت في سياق حرب داود عليه السلام لجالوت وانتصاره عليه كما نزل قوله تعالى :(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) في الاذن للمسلمين بالجهاد والمدافعة عن انفسهم بقتال من يقاتلونهم لانهم مسلمون ولا يجيء هنا اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب لان مسئلة أسرار الحروف ليست مما نحن بصدده في شيء فيدخل في عمومه وإذا كان لها وجه اليه صحيح فهو دفع مثلي لهذه الاعتقادات الخرافية التي تفسد عقول الامة واخلاقها وأعمالها . ولنعد الى الموضوع

أما قولك إن هذه الاسرار مخصوصة بالحروف العربية فهو يقتضي أن السر محصور في هذه الاشكال المعروفة للحروف وهي مختلفة الآن فخطوط أهل المشرق من عرب وترك وفرس مغايرة لخطوط أهل المغرب ولا يشبه شيء من خطوط أهل هذه القرون خطوط القرون الاولى زمن الصحابة والتابعين كالخط الكوفي بأشكاله . ومن يعلم مثار هذه البدع في الملة لا يعجب من دعوى أن لأشكال الحروف أسراراً ولو كنت مطلعا على التاريخ لكفيتني مؤنة التطويل بهذه البديهيات عند العارفين

هذه البدعة من فتن طائفة الباطنية التي هي أشد الطوائف عبثا في الاسلام وافسادا له حتى أن بلاءها لا يزال ينمو ويتجدد الى الان وآخر فرقهم البابية والبهائية وقد راجت بدعتهم هذه كاكثر بدعهم في سوق التصوف للتشابه بل الاشتباه بين غلاة المتصوفة وبين الباطنية وهذا هو

منتزع قولك ان هذا الاسرار لا تظهر الا على ايدي الصالحين أو من اذنوا له بها : أصاب المسلمين رشاش من تلك البدع فأفسد فيهم ما أفسد، وأما الباطنية أنفسهم فليست الحروف وأشكالها وأعدادها وتناسبها وتخالفها وطبائعها عندهم من أسرار الدين الكمالية ، كما يزعم جهلة المسلمين بمذهب الصوفية ، بل هي من أصول الدين وقواعده الاساسية، وقد مزجوا الكلام عليها بعلم الحساب والنجوم كما فعل حسن الصباح رئيس الاسماعيلية وغيره

أنا لم اكتف بما رأيت في كتب التاريخ العربية من أخبار طوائف الباطنية بل وقفت أيضا على كثير مما اكتشفه مؤرخو أوروبا وزدت على هذا أن وقفت على بعض الكتب الخطية لطائفة الدروز والنصيرية وهذه الكتب من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق لا يجوز عندهم طبعها ولا اطلاع أحد غير رؤساء الدين عليها

(المقلد) : أرجو ان تطلعني على شيء من هذه الكتب السرية

(المصلح) : لا أسمح باعارة هذه الكتب لاحد ولكنني أقرأ لك منها جملة أو جملتين لتزداد يقيناً ـ ثم فتح درجا من منضدته وأخرج منه رسالة وقال : هذه الرسالة الموسومة بكشف الحقائق . وهي في أصول مذهب الدروز وقلب منها أوراقاً وقرأ ما يأتي ـ : [وقد ذكرنا لكم في السيرة المستقيمة بأن آدم الصفاء هو العقل وكان اسمه شطنيل واسم ابليس حارت وانما ذكرنا هما في وقت ظهور الصورة البشرية وهو تمام سبعين دوراً. وكذلك قلنا حارت أربعة أحرف (ح) ثمانية (ا) واحد (رت) سبعمائة ساقط يبقى من جملة الاسم تسعة . والتسعة اذ كتبتها كانت أربعة أحرف ت س ع ه والاسمين حارت وابليس اذا حسبتهما يبقى منهما أربعة أحرف لان بقية اسم حارت تسعة وبقية اسم ابليس سبعة تسقط اثنا عشر يبقى

أربعة أحرف سوي . فقد حسبنا اسمه بالطول والعرض ومزدوجاً وفرداً فوجدناه أربعة أحرف ووجدنا التاء التي في آخر الاسم حارت أول حروف التسعة دليل على ناموس الناطق وزخرفه في كل عصر وزمان وان أول النطقاء هو آخرهم وانما يتصور في الاقصة بالتكرار كما ان الولي قائم في كل عصر وزمان. فبهذا السبب أهل الشرائع يرون محبة الاعداء كافة ولا يرون محبة رجل موحد ولا يكون في الحجة أوضح من هذا ولا أبين منه

[ثم رجعنا الى العقل فوجدناه ثلاثة أحرف والنفس ثلاثة أحرف لكنهما يفترقان في حساب الجمل الكبير . وكذلك جهال الشيعة ينظرون الى العقل والنفس بعين الدعوة لا غير وهما يتفاضلان في المنزلة لان العقل هو الذكر والنفس بمنزلة الانثى والذكر هو المفيد والانثى هو المستفيد والعقل اذا حسبناه في حساب الجمل الكبير وجدناه مائتين والنفس مائة وثلاثين فوجدنا اسم العقل زائد عن اسم النفس سبعين درجة وهم حدود الأمانة والتوحيد

[وأنا أعدهم لكم بمشيئة مولانا سبحانه حتى لا تشركون به أحداً من خلقه . فأولهم (النفس) واثنى عشر حجة له في الجزائر وسبعة دعاة للاقاليم السبعة كما قال « عليها تسعة عشر » . و (الكلمة) واثنى عشر حجة وسبعة دعاة للاقاليم السبعة لان للكلمة نظير النفس . و (السابق) واثنى عشر حجة لا غير . و (التالى) واثنى عشر حجة لا غير لان له مثل ما للسابق . و (الداعي) المطلق وله مأذون ومكاسران فصاروا الجميع سبعين حداً منهم تفرعت جميع الحدود العلوية والسفلية وهم كلهم من قبل العقل وهو الامام المؤيد من قبل مولانا سبحانه وتعالى يسقط من يريد ويرفع درجة من يريد بتأييد مولانا العلي الاعلى سبحانه وارادته كما قال في القرآن (انما

أمره اذا أراد شيئا) الى — ترجعون —

[فهؤلاء الحدود السبعون الذين ذكرناهم هم أذرع السلسلة الذي قال في القرآن (خذوه فغلوه) أي ضد الامام اذا بلغ غايته وتمت نظرته خذوه بالحجج العقلية وغلوه بالعهد وهو الذبح الذي قالوا بان القائم الذي يذبح ابليس الا بالسة (ثم الجحيم صلوه) أي غوامض علوم قائم الزمان الذي تتجحم العلماء والفهماء عند علمه أي يصمتوا ويتحيروا (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) أي ميثاق قائم الزمان الذي هو سلسلة بعضها في بعض وهم سبعون رجلا في دعوة التوحيد (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أي الضد الروحاني ما كان يقر بإمامة شطنيل وفضيلته] الخ

(المقلد) : قد ضاق صدري من هذا الكفر الذي لا أساس له الا هذه الشبه الحسابية وإني أرى لفظه فاسدا كمعناه ولا أدري لم لم تصلح عبارته . ثم إن ما قرأته ليس فيه شيء يدل على أعتبار أشكال الحروف وصورها

(المصلح) . انني كتبت هذه الرسالة كما وقعت الي من بعض الجنود العثمانية الذين حاربوا دروز حوران في الفتنة الاخيرة ولم أصلح شيئا في عبارتها ولا في إملائها لأنني سمعت ان هذا الغلط عندهم علامة على الصحة وعدم وقوع الكتاب في يد أجنبي . وأما اعتبارهم أشكال الحروف مع أعدادها فاسمع ما أقرأه عليك فيه . ثم قلب أوراقا وقرأ ما نصه

[والالف والباء والتاء والثاء يتشابهون بعضهم ببعض (كذا) غير ان الالف يكتب بالطول والباء والتاء والثاء تكتب بالعرض فالالف دليل على العقل وهو الامام والالف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته والباء دليل على النفس وهي الحجة وتحته نقطة واحدة لان بينه وبين العقل حدا واحدا

وهو الضد الروحاني فصارت نقطة الباء من تحت حيث عصى الضد أمر باريه ، ونافق على امامه وهاديه ، ولو كان الضد طائعا لكانت نقطة الباء من فوق فلما سبق الضد صار حزبه أكثر من حزب النفس . والتاء دليل على الكلمة وفوقها نقطتان دليل على الحدين الذين فوقه والثاء دليل على الجناح الايمن وهو السابق رابع الحدود الذين فوقه في المرتبة وكتبتهم (هكذا ضبط في الاصل) بالعرض دليل على طاعتهم للامام الذي هو العقل وقبولهم منه] وذكر في الرسالة ههنا كلاما ثم قال

«ثم نرجع الى الحروف ومعانيها على الترتيب بالجيم والحاء والخاء في الصورة شيء واحد لكن بينهم فرق كثير في الحقيقة لان الجيم دليل على شريعة الناطق الظاهرة والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الاساس التي هي تحت الظاهرة مستورة فيه » — الى أن قال ـ «والحاء في حساب الجمل ثمانية وكذلك قائم الزمان احتوى على علم الثمانية الذين هم حملة العرش كما يقال [ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية] وهو توحيد مولانا العلي الاعلى سبحانه وعبادته . وكذلك الميم والواو والراء والزاي والنون شيء واحد وهذه صورتهم عند نزولهم م و ر ز ن لكن الميم شكلته من خلفه مدورة والواو شكله قدامه وهذه صورتهما والنون يبقى على حاله لكن فوقه نقطة والميم دليل على محمد والواو دليل على وصيه وشكلتيهما دليل شريعتهما وشكلة الميم من خلفه مدورة كذلك شريعة الناطق ظاهرة وشكلة الواو قدامه كذلك شريعة الاساس باطنة ولولا الشكلتان اللذان على الميم والواو لما كانا يعرفان . وكذلك محمد وعلي لولا ظاهر الشريعة وباطن التأويل لما كان يقع عليهما اسم الناطق والاساس] الخ الخ

(المقلد) :لقد بغضت إليَّ هذه الحروف بهذا الكلام الهذيان ولولا ما ذكرت لك من التجارب الصحيحة على انتفاع الناس بفوائدها لوافقتك على القول بعدم تلك الفائدة والحمد لله الذي جعلنا من أهل السنة والجماعة الذين لا إفراط عندهم ولا تفريط

(المصلح) :ان أهل الحق الذين سلموا من الغلو في الدين ومن الافراط والتفريط هم السلف الصالحون الذين كانوا على هدي الراشدين رضي الله عنهم فان الذين يسمون أنفسهم أهل السنة في هذه القرون المتأخرة لم يسلموا من بدع الباطنية وغيرهم ولكنهم سموها باسماء أخرى ولو قابلت بين كلام الباطنية وكلام الصوفية من أهل القرن الرابع فمن بعدهم لم تجد الا فرقا يسيرا . على ان فقهاء هذا العصر يتعصبون لهذه الحروف ويطعنون في دين من يقول بلزوم تبديلها لما فيها من المعايب التي يعسر معها التعليم ويكثر التحريف . واما ما ذكرت من التجارب فغير منضبط ولا متحقق بحيث يعلم ان ما يكون من التأثير في بعض التجارب هو من الحروف وانني أنا جربت بنفسي شيئا من ذلك فأفاد وعاشرت من اشتهروا بأن تعاويذهم وتمائمهم لا يتخلف تاثيرها وصدقوني الخبر فيما يكتبون. كان من هؤلاء شيخ من الشرفاء يقصده المسلمون والنصارى من بلاد كثيرة ليكتب لهم ما يستشفون به من الامراض أو يستعطفون قلوب من يعشقون الى غير ذلك من الاغراض. وقد أخبرني بانه يكتب للمسلمين آيات من القرآن ولغيرهم هذه العبارة « رز باللبن ، عافية على البدن . رز بحليب ، كلما برد يطيب » وكانوا ينتفعون بذلك والسبب في غالبه الوهم الذي يحدثه الاعتقاد على أن أكثر ذلك لا ينفع ولا يفيد ولكن الناس ينسونه ويحفظون

ماتحدث عقبه الفائدة المطلوبة وإن كان حدوثها لسبب آخر خفي عنهم ، بل يعمون عن السبب وان كان ظاهرا لانهم مع اتخاذ هذه الوسائل الغريبة الغيبية ، يأخذون بالاسباب الظاهرة الطبيعية ، وانما ولعهم بالغرائب هو الذي يذهلهم عن السبب الظاهر ويحملهم على أضافة الاثر إلى الوسيلة الغريبة غير الطبيعية

ومن الناس من أعطى استعدادا للتأثير بنفسه إذا هو وجهها الى الشيء بهمة قوية وعزيمة صادقة وقد وجد في كل أمة أفراد من هؤلاء فكانوا فتنة للناس، والبحث في هذا التأثير من أدق مسائل علم النفس ومن علماء الفلسفة من ينكره ، ولا سعة معنا في هذا الوقت للخوض فيه

(المقلد) : لقد سمعت اليوم ما لم أسمع بمثله من قبل وظهر لي ان من يطلع على التاريخ يمكنه أن يورد شبهات على علوم الدين لا يمكن دفعها لغير المطلع عليه اطلاعا واسعا ولا أرى المشايخ الذين يقولون بكراهة قراءته ويزعمون أن الاطلاع عليه يضعف العقل الا في ضلال مبين . ولكنني أرى أنه يشترط أن يكون المطلع عليه كالمطلع على الفلسفة والمنطق كامل القريحة راسخا في العقيدة أو كما قال الاخضري

ممارس السنة والكتاب ليهتدي به الى الصواب

(المصلح) متبسما مستبشرا : أحمد الله تعالى على اقتناعك بفائدة علم التاريخ فانه مغذي العقل ومربي الامم وينبوع علم الاجتماع الذي هو أفضل العلوم الكونية وأنفعها وإذا أردت مطالعة كتبه فابدأ بمقدمة ابن خلدون وها انا ذا أقدمها لك هدية فاقرأها بامعان فهي مفخر الامة الاسلامية على الامم الغربية فانها استاذهم الاول في فلسفه التاريخ وعلم الاجتماع البشري (السسيولوجيا) وأصول السياسة وعلم التربية والتعليم (البيداجوجيا)

وهي مترجمة الى جميع لغاتهم ولكنهم توسعوا في العلوم التي استفادوها منها حتى نقضوا كثيرا مما ابرمت ، وهدموا بعض القواعد التي بنت

فتقبل الشيخ الهدية شاكرا وانصرفا على ان يعودا الى البحث في الجفر والزايرجة قبل الخوض في بحث الاجتهاد والتقليد وعلاقه ذلك باعادة مجد الاسلام (اه ص ٨٠٤ من مجلة المنار ٣)

﴿ المحاورة الخامسة ـ الجفر والزايرجة ﴾

أصل الجفر ومعناه. اضافته الى الشيعة. انكار نسبته الى جعفر الصادق. الرواية والمروي . الباطنية وعصمة آل البيت وعبادتهم، ادعاء الحاكم الالوهية، المتكلمون وردهم على المعتزلة دون الباطنية ونحوهم. سبب الجدل بين الفقهاء . المنار والعلماء والاولياء . اسناد الجفر الى سيدنا علي ورده . معنى الجفر وموضعه . ملحمة ابن عربي . التصوير والصور . صدق الجفر والملاحم وكذبها. الجفر والامراء والملوك الزايراجه والرمل والمندل والبروج .

لما عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى المحاورة، والمضي في المباحثة والمناظرة ، بدأ الاول باعادة الشكر والثناء على الثاني لاهدائه اليه مقدمة ابن خلدون واظهار الاعتبار بها وقال

(المقلد) : انني نظرت في فهرس المقدمة قبل المطالعة فرأيت ذكر الجفر والزايرجه فكان هذان البحثان اول شيء قراته في هذا الكتاب ليكون لي منهما مادة من جنس مادتك أناظرك بها فأما الجفر فألفيت مؤلفها يميل الى انكاره ويذكر أن هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية (فرقة من الشيعة) هو الذي يروي كتاب الجفر عن جعفر الصادق (رضي الله عنه) وانه كان مبينا لما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص بحسب ما أعطاه الكشف الذى يقع لمثلهم من

الاولياء .قال : وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب فيه لان الجفر في اللغة هو الصغير من ولد الشاء وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق .وبعد هذا أنكر ابن خلدون صحة الرواية في ذلك مع انه أثبت الكرامة لجعفر وآله عليهم الرضوان ولا إخال إلا أنك تبعت هذا الرجل في انكار الجفر وان كان عدم صحة الرواية لا يقتضي عدم صحة المروي في الواقع ونفس الامر . وأما كلامه في الزايرجة فلا أخفي عنك انني لم أفهمه

(المصلح) : انني أود لو تطلع على كل ما اطلعت أنا عليه مما نتكلم فيه لما في ذلك من الاقتصاد في زمن المناظرة ومن سهوله الاقناع والاقتناع ولا تختلجن في نفسك انني أقلد ابن خلدون أو غيره في شيء مما أقول وانما أطلع على ما نقله هو وغيره وأعتقد ما يترجح عندي بعد النظر الطويل . وأما قولك : ان عدم صحة الرواية لا يقتضي عدم صحة المروي فلعلك تريد به أن عدم العلم بصحتها لا يقتضي أن المروي غير واقع لجواز وقوعه مع عدم تصدي الثقات لنقله وروايته ،ولكن لا يسعك أن تنكر ان ما لا يعلم الا من طريق النقل لا يمكن الحكم بثبوته الا بالرواية الصحيحة فاذا لم توجد لا يسمح لنا الدين ولا العقل أن نقول بثبوته وإذا أنكرناه بناء على أن الاصل عدمه لا نعذل ولا نلام. فكيف اذا وجد من التهم ما يقتضي الانكار وهو ما يقصه علينا التاريخ من سيرة فرق الشيعة المنتحلين لهذه البدع ولا سيما في عهد العبيديين الذين روجوا مذهب الباطنية الذي زلزل دين الاسلام زلزالا ،وخرج بمسلمي الشيعة من الاعتقاد بعصمة آل البيت وإلحاقهم في ذلك

بالانبياء الى عبادتهم والقول بألوهيتهم فاذا كان شاعر المعز يقول في مظلته

أمديرها من حيث دار لَشَدَّ ما زاحمت تحت ركابه جبريلا

ويقول

ماشئت لاما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

فان الحاكم لايزال يعبد الى اليوم وكل ماقرأته عليك في وصف الله تعالى من رسالة دين الدروز في محاورتنا الماضية فانهم يريدون به الحاكم العبيدي وكذلك النصيرية يعبدونه وهم أشد الناس عناية بتعرف علم الغيب من الجفر والنجوم

(المقلد) : إني لأعجب لعلمائنا من المتكلمين والفقهاء كيف يسكتون عن هؤلاء الضالين المضلين ولا يزال يرد الاولون على المعتزلة وقد انقرضوا وانقرض مذهبهم ويرد الفقهاء بعضهم على بعض وكلهم من أهل السنة والجماعة

(المصلح) إن أكثر ما تراه من الجدل والرد والانكار من العلماء بعضهم على بعض ناشيء عن الاهواء فان المعتزلة هم السبب في وجود علم الكلام ـ خاضوا في أمور لم يخض فيها السلف الصالح فانبرى آخرون لمناضلتهم وبعد ذلك تداعت دعائم العلم والنظر ولم يبق للمقلد من المتأخرين الا حكاية ألفاظ المتقدمين وان ذهبت فائدتها بذهاب وقتها والاكتفاء بالسكوت عن البدع والضلالات التي حدثت بعد أولئك الأئمة كالاشعري وأصحابه وتكفير من يسأل عنها أو تضليله الا أن تنشر وتلون بلون الدين ويوجد لها اتباع وأنصار كبدع أهل الطريق فحينئذ يناضلون عنها بالتحريف والتأويل ، ويعكسون الحكم فيرمون منكرها بالكفر أو التضليل ، كما هو مشاهد في كل جيل وقبيل ، وأما الفقهاء فقد بين حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين أن السبب في مجادلاتهم ومناضلاتهم

هو التزلف الى الامراء والخلفاء ، والتزاحم على منصب القضاء ، ولذلك تجد الوطيس لم يحم الا بين الحنفية والشافعية لان المناصب كانت محصورة فيهم . على أن الحكم عليهم بالسكوت لا يصح على عمومه فلا بد في كل عصر من فرد أو افراد ينصرون الحق ويخذلون الباطل ، ولكن غلبة الجهل على الامة تسول لها الباطل وتزينه في نفوسها فتعمى عن الحق ولا تبصره ، وقد نشر في الجزء الثالث من منار السنة الثالثة نبذة في حكم الشعوذة والروحانيات والعزائم والطلاسم نقل فيها عن الفقيه ابن حجر الهيتمي أن الاشتغال بالروحانيات هو الذي أضل الحاكم العبيدي حتى أدعى الالوهية وفعل أفاعيل من لا يؤمن بالآخرة . فأحب أن تقرأ تلك النبذة

(المقلد) : إن المنار جريدة ضارة تهين العلماء وتنكر الاولياء فلا أحب أن أراها بل أحمد الله أنني لم أطلع عليها قط

(المصلح) : سبحان الله ! كيف يصح لك وأنت من أهل علم الدين أن تحكم على ما لم ترَ والله يأمرك أن تتبين وتتثبت فيما يجيئك من الانباء عن الفساق الذين يغتابون الناس ويسعون بينهم بالنميمة ؟ لا توجد عندنا جريدة تعلي من قدر العلماء كالمنار لأنها تجعل في أيديهم زمام الامة وتنوط بهم أمر اصلاحها وارجاعها الى مجدها الاول باصلاح التربية والتعليم ، ولا يذمه منهم إلا من يشعر من نفسه بالقصور عن القيام بشيء من هذا الاصلاح . وأما الاولياء فالمنار لا ينكرهم وانما ينهى عن اطرائهم والغلو فيهم بأن يدعوا مع الله تعالى ويطلب منهم مالا يطلب الا منه سبحانه (لان هذا عبادة لهم وشرك به سبحانه) ولولا خشية الخروج عن موضوعنا لقرأت لك بعض كلامه في ذلك

(المقلد) : كنت أسمع أن الجفر مأخوذ عن سيدنا علي كرم وجهه وينسبون

للشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي قدس سره جفراً يسمونه الشجرة النعمانية ويقولون إنه يحتوي على جميع الحوادث العظيمة الى يوم القيامة

(المصلح) : نعم إن من الناس من يزعم ماذكرت كالجرجاني. وقال ابن طلحة الجفر والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكره الامام علي وهو يخطب على المنبر في الكوفة والآخر أسر به اليه النبي ﷺ وأمره بتدوينه فكتبه علي حروفا متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر فاشتهر بين الناس لانه وجد فيه ما جرى للاولين والآخرين. أقول وكانوا يزعمون أن الجفر أخبار عن المغيبات صريحة أورموز، ولما أرادوا أن يجعلوه علما أدخلوه في علم الحروف والعدد الذى هو بعد الروحانيات في المرتبة، واختلفوا في وضعه وتكسيره فمنهم من كسره بالتكسير الصغير وزعموا أنه جعفر الصادق ومنهم من يضعه بالتكسير المتوسط وهو الذي توضع به الاوفاق الحرفية، ومنهم من يضعه بطريق التركيب الحرفي أو العددي . ومن الناس من خلط بين الجفر والتنجيم وسمى كل ما كتب في الملاحم والحدثان جفراً وان كان مبنيا على اقترانات. ومنهم من يعتقد أن الجفر لا يكون إلا عن كشف، وأن الرموز الحرفية والعددية وغيرها لم يضعها الشيخ محي الدين بن عربي في جفره إلا لاجل الابهام لكيلا يطلع الناس على الغيب فتفسد شؤونهم، وقد اطلعت أنا على الشجرة النعمانية فاذا هي رموز لا يفهم منها شيء . وبالجملة لم يثبت أن لهذا الجفر أصلا علميا يرجع اليه في معرفة الغيب وإلا لارتقى وتسنى تحصيله لكل أحد . ولم يعط الله تعالى علم الغيب لاحد إلا ما أخبر به بعض الانبياء عليهم السلام من أحوال الآخرة والملائكة والجن مما ثبت في الوحي فنصدق بالقطعي منه إيمانا وتسليما . نعم لا ننكر أن في

الناس محدثين وملهمين يخبرون بشيء أن سيقع فيقع كما قالوا لكن هذا نادر ومخصوص بالجزئيات . قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) الآية

(المقلد) : رأيت في مقدمة ابن خلدون أنه وقف على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي الذي هو الشيخ الاكبر فيها أوفاق عددية ورموز ملغوزة وأشكال حيوانات تامة ورءوس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة. وقد أنكرها ابن خلدون وقال الغالب أنها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها. وكان الاولى أن ينكر نسبها للشيخ الاكبر لوجود الصور والتماثيل فيها لان التصوير حرام يجل عنه ولي من أكابر الاولياء .

(المصلح) : ربما يعتقد ابن عربي وابن خلدون أن الصور المحرمة هي مالها علاقة بالدين كصور الانبياء والاولياء لانها ربما تعظم تعظيما دينيا فتكون أوثانا تعبد عبادة لم يأذن بها الله تعالى فالنهي عن التصوير كالنهي عن بناء القبور وتشريفها واتخاذ المساجد عليها ولاسيما قبور الانبياء والصالحين فقد لعن النبي ﷺ من فعل ذلك بها . وأما الصور التي لا علاقة لها بالدين ولا هي مظنة التعظيم ، فلا تدخل في علة النهي ، أما قرأت في صحيح البخاري وغيره حديث القرام (الستار) المصور الذي كان عند عائشة رضي الله عنها وكيف أمر النبي ﷺ بهتكه لانه كان منصوبا كالصور التي كانت تعبد في الكعبة وطمسها ثم لما زالت صفة التعظيم باتخاذ القرام وسادة كان عليه السلام يتكيء عليها مع بقاء الصور فيها

(المقلد) : هذا تعليل مخالف لكلام الفقهاء وأجل الشيخ الاكبر عن القول به .

(المصلح) : أما علمت أن الشيخ الاكبر غير مقلد للفقهاء ولا لغيرهم وانه صرح في فاتحة الفتوحات بانه لا يتقيد بمذهب سني ولا معتزلي ولا غير ذلك، وصرح بان ليس كل مايقوله المعتزلي باطلا الخ وعلم أن بعض الناس ينسبه الى مذهب ابن حزم الظاهري فأنكر ذلك وانشد

ويعزوني الى قول ابن حزم ولست أقول ماقال ابن حزم

(المقلد) لقد صح من أخبار الجفر شيء كثير وذلك كقول الشيخ الاكبر في الشجرة النعمانية على مايقولون: «اذا دخل س في ش . ظهر قبر محي الدين . » وقد كان كذلك فان السلطان سليما هو الذي أظهر قبر الشيخ عند مادخل الشام وبناه واجرى عليه الاوقاف

(المصلح) يوجد في هذه الجفور الرمزية وغير الرمزية أخبار تقع وقد رأيت في جفر منسوب للامام علي كرم الله وجهه «ويل للاسكندرية، من الاساطيل البحرية ، » وفي موضع آخر «ويل للقاهرة، من القاهرة» وذلك أن من يخبر بأشياء كثيرة من شأنها أن تقع لابد أن يصدق بعضها، ولو كان الجفر حقا لوقع كل ماأخبر به . وأما الرموز فمجال التضليل فيها واسع ومبدانه فسيح، لان هذه الحروف تصدق على أشياء كثيرة وتنطبق عليها من غير أن تكون موضوعة لها . ولم يوضع ذلك الا لخداع الامراء والملوك ورجالهم لابتزاز أموالهم وابتغاء الزلفى عندهم، وما أراك إلا قد قرأت قصة الدانيالي في مقدمة ابن خلدن (١) وما ذكره عن ملحمة الباجريقي

---

١) قال ابن خلدون : حكى المؤرخون لأخبار بغداد انه كان بها أيام المقتدر (الخليفة) ورّاق ذكي يعرف بالدانيالي يبل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من أسماء أهل الدولة ويشير بها إلى مايعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة

الصوفي (١) وقد ذكرت لك من قبل أن كلمة تصدق تخدع

والجاه كأنها ملاحم ويحصل على مايريده منهم من الدنيا وانه وضع في بعض دفاتره (م) مكررة ثلاث مرات وجاء به إلى مفلح مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكر عنه مايرضاه وينالـه من الدولة ونصب لذلك علامات يموه بها عليه فبذل له ماأغناه به ثم وضعه الوزير ابن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان معزولا فجاءه بأوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلي الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مفلحاً على هذه الاوراق وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه إلى دانيال فأعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة العريقة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز. اه

١) وقال قبل ذلك : ووقفت بالمشرق أيضا على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى الباجريقي وكلها ألغاز بالحروف وذكر أبيات منها بعد ذكر رجل يسمى الاعرج الكلبي يأتي من المشرق:

إذا أتى زلزلت ياويح مصر من الـ زلزال ما زال جاء غير مقتطن

طاء وطاء وعين كلهم حبسوا هالكا وينفق أموالا بلا ثمن

ثم ساق حكاية الدانيالي وقال:

والظاهر ان هذه الملحمة التي ينسبونها الى الباجريقي من هذا النوع. ولقد سألت أكمل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجريقي وكان عارفا بطرائقهم فقال : « كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف يومىء الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وهو أمر ممتنع إذ الرمز إنما يهدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا تتجاوزه فرأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من أمر هذه الملحمة (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) والله سبحانه وتعالى أعلم اه

الجهلاء فيظنون أن الكلام كله صحيح

(المقلد): نعم قرأت ذلك واني أخبرك بخبر من هذا القبيل جرى لصاحبي الشيخ المصري العالم بالزايرجه والحرف ولكنه من الاسرار التي لا أسمح لك أن تذكرها عني .ذلك أن الامير ... تنازع هو وحرمه في أمر ذي بال لا ينبغي التصريح به وانما يقال في الجملة انه ارتكب مايوجب حدا شديدا فعاقبته عليه بجناية ساعته وان كانت خيرا له وانكرت عليه أن العقوبة من قبلها فاستحضر الشيخ ليكشف له الحقيقة بالزايرجة فلما وقف على القصة بالاجمال والتمويه منهم علم أن المصلحة والمنفعة في تبرئة الحرم المصون مما يتهمها به الأمير فزعم بعد أعماله وحسابه أن الامر جاء من طبيعته لا من قبلها وانصرف بمال كثير

(المصلح): انظر الى أمراء المشرق وملوكه الذين تروج عندهم هذه الخزعبلات كيف يزدادون تعاسة وشقاء عاما بعد عام فمستقبلهم دائما شر من ماضيهم، وانظر الى ملوك أوربا الذين يستعدون للمستقبل بما تعطيهم العلوم الصحيحة وسنن الكون كيف يزدادون قوة وعزة وارتقاء

(المقلد): هل الرمل من قبيل الزيراجة والجفر فاني أراك درست هذه الاشياء ؟

(المصلح): الزيراجة ضرب من أعمال الحساب وتكسير الحروف يقصد به معرفة الغيب وعده ابن خلدون من فروع السيمياء والرمل من قبيل الزايرجة قال ابن خلدون. استنبطه قوم من خامة المنجمين وسموه خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم. وفصل القول في محصول صناعتهم الباطلة ولعلك قرأته فهو صناعة والغيب لا يمكن أن يعرف بصناعة

ومن آية بطلان هذا العمل انه لا يروج الا في سوق الجهالة كما قال ابن خلدون في أهله وهو « ولقد نجد في المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم، وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب، ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة من ذم ذلك وأن البشر محجوبون عن الغيب» الخ ماقرأت

وأنت ترى أنهم زادوا في هذا الزمن امورا أخرى كالنظر في ورق اللعب والنظر في الكف ، ومن ذلك كتاب البروج لابي معشر وغيره يحسبون اسم الرجل واسم أمه بالجمل ويسقطون من المجموع اثنى عشر مرة بعد أخرى حتى لا يبقى الا اثنى عشر أو دونها فينظرون في الباب الذي يوافق العدد الباقي ويتعرفون منه تاريخ ذلك الرجل في جميع شؤونه ، وحسبك في فساد هذا أن المتفقين في اسم الاب والام تكون شؤونهم متحدة وانا لنشاهد فيهم السعيد والشقي والغني والفقير والمالك والمملوك فحسبنا يا مولاي بحثا في هذا الهذيان ولنتكلم في الجد الذى هو أصل موضوعنا ، فقبل الشيخ منه ذلك وانصرفا على موعد . اه (من ص ٦٠ من مجلد المنار الرابع)